يطبع كاملاً لأول مرة
على نسختين خطيتين

الكلام على مسألة السماع

تأليف

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ)

وآخرين

تحقيق

عبد المنعم السيوطي

دار الوطن للنشر

الكلام
على مسألة السماع

ولا ريب أن [أهل السماع] معذورون؛ إذ لم يجدوا من يخاطبهم بأذواقهم، ويكلمهم على مقتضى أحوالهم، ويشاركهم في وجدهم وشأنهم، فيناديهم من مكان قريب.. ولو أن المنكر عليهم شاركهم فيما عندهم: من الأخلاق، والمحبة، وأعمال القلوب ومراعاتها، والفقه في منازلاتها وارداتها- لانقادوا له!

ابن قيم الجوزية

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجوزية، شمس الدين

الكلام على مسألة السماع. / شمس الدين الجوزية؛ عبد المنعم محمود - الرياض، ١٤٣٧هـ

ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩ - ٣٤ - ٨١٧١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١هـ ٢- الغناء ٣- الفتاوى الشرعية

أ. محمود، عبد المنعم (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٥٩.٧٢ ١٤٣٧/٢٣٢

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٢٣٢

ردمك: ٩ - ٣٤ - ٨١٧١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/٢٠١٥م

مدار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية. المقر الرئيسي: الرياض. الروضة

ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢ هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

موقعنا على الإنترنت : www.madaralwatan.com

الرياض:	٠٥٠٣٢٦٩٣١٦	التوزيع الخيري للشرقية والجنوبية:	٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
الغربية:	٠٥٠٤١٤٣١٩٨	التوزيع الخيري لباقي جهات المملكة:	٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
الشرقية:	٠٥٠٣١٩٣٢٦٨	التسويق للجهات الحكومية:	٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧
الشمالية والقصيم:	٠٥٠٤١٣٠٧٢٨	مبيعات المكتبات الخارجية:	٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

يطبع كاملًا أول مرة على نسختين خطيتين

الكلام على مسألة السماع

تأليف

تقي الدين السبكي الشافعي (٧٥٦هـ)

جلال الدين بن حسام الدين الحنفي (٧٤٥هـ)

عبد الله بن أبي الوليد المالكي (٧٤٣هـ)

برهان الدين بن عبد الحق الحنفي (٧٤٤هـ)

أحمد بن الحسن الحنبلي (٧٧١هـ)

أبي عمرو بن أبي الوليد المالكي (٧٤٥هـ)

عماد الدين بن كثير الشافعي (٧٧٤هـ)

ابن قيم الجوزية الحنبلي (٧٥١هـ)

تحقيق

عبد المنعم السيوطي

مدار الوطن للنشر

محتويات المقدمة

توطئة 5
بين يدي القارئ 8-58
عن هذه الطبعة 8
الطبعات السابقة 8
الطبعة الأولى 8
الطبعة الثانية 10
الحاجة إلى إعادة تحقيقه 14
طبعتنا 15
❶ النسخ الخطية 15
❷ قراءة النص 20
❸ توثيق النصوص وتراجم الأعلام 22
❹ ضبط النص 23
❺ تنسيق النص 23
❻ الكشافات والفهارس 25
عن هذا الكتاب 25
❶ نسبته 25
❷ تأليفه 29
❸ عنوانه 31
❹ موضوعه 33
❺ أهميته 34
❻ فصوله 35
شبهة 36
❼ مصادره 37
عن هؤلاء المؤلفين 39
قاضي القضاة تقي الدين السبكي 39
جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي 40
قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي 41
أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي 41
عبد الله بن أبي الوليد المالكي 42
شرف الدين أحمد بن الحسن الحنبلي 42
عماد الدين بن كثير الشافعي 43
ابن قيم الجوزية 44
صور النسخ الخطية 47

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله مُنْزِلِ القرآنِ، ومُسْمِعِ الإنسِ والجانِّ إعجازًا مِن البَيانِ؛ حياةً لقلوبِهِم، ونورًا لبصائرِهِم، وغذاءً لقلوبِهِم، ودواءً لسقامِهِم، وقُرَّةً لعيونِهِم، والصلاةُ والسلامُ على مَن نَزَلَ عليه التبيانُ لِيَقْرَأَهُ على النَّاسِ على مُكْثٍ، محمد بن عبد الله، وآله وصحبه وسلم، **وبعدُ:**

فإنَّ الله سبحانه شَرَعَ للأمَّةِ مِن السماعِ ما أَغْناهُم به عمَّا لم يَشْرَعْهُ، حيثُ أَكْمَلَ لهم دينَهم وأَتَمَّ عليهم نعمَتَهُ ورَضِيَ لهم الإسلامَ دينًا، وهو سماعُ القرآنِ الذي شَرَعَهُ لهم في الصلاةِ وخارجِها، مجتمعِينَ ومنفردِينَ، حتَّى كان أصحابُ النبيِّ ﷺ إذا اجْتَمَعُوا أَمَرُوا واحدًا يَقْرَأُ والباقُونَ يَسْتَمِعُونَ، وكان عمرُ بنُ الخطابِ يقولُ لأبي مُوسَى: «يا أبا مُوسَى، ذَكِّرْنَا رَبَّنَا»!

فلمَّا انقَرَضَتِ القرونُ الفاضِلَةُ حَصَلَتْ فَتْرَةٌ في هذا السماعِ المشروعِ، الذي به صلاحُ القلوبِ وسعادةُ الدارَينِ، وصار أهلُ الفتورِ فيه أحدَ رجلَينِ:

- **رجلٍ أَعْرَضَ** عن السماعِ المشروعِ وغيرِ المشروعِ؛ فأَوْرَثَهُ ذلك قسوةً وفواتَ حظِّهِ مِن حقائقِ الإيمانِ وأذواقِهِ ومواجيدِهِ.
- **ورجلٍ أَقْبَلَ** على سماعِ الأبياتِ والقصائدِ، وجَعَلَ شربَهُ وذوقَهُ منها.

والرَّجلانِ مُنْحَرِفانِ!

⇦ **وخيرٌ منهما وأصحُّ سماعًا:** مَنْ جَعَلَ سماعَهُ وذوقَهُ ووَجْدَهُ مِن الآياتِ.

---

(١) جلُّ هذه التوطئة ملفق من متن الكتاب؛ زورتُها للقارئ تمهيدا وتقدمة.

وأقام الله سبحانه مَنْ أَنْكَرَ على أهلِ السماعِ المُحدَثِ المُبْتَدَعِ، وكان في المُنكِرينَ المقتصدُ والجافي والغالي، وصار على تمادِي الأيامِ يَزْدادُ المُحْدثُ مِن هذا السماعِ، ويَكْثُرُ الحدَثُ فيه، ويَزْدادُ التَّغليظُ مِن أهلِ الإنكارِ؛ حتَّى آلَ الأمرُ إلى أنواعٍ مِن التفرُّقِ والاختلافِ والمُعاداةِ، ومَن ثبَّتَهُ اللهُ بالقولِ الثابتِ أَعْطَى كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وحَفِظَ حدودَ اللهِ فلم يَعْتَدِها، ومَن يَتَعَدَّ حدودَ اللهِ فقد ظَلَمَ نفسَهُ.

وقد وَجَدَ أهلُ السماعِ في كثيرٍ ممَّن يَذُمُّ السماعَ مِن قسوةِ القلبِ والبُعْدِ عن مكارمِ الأخلاقِ وذوقِ حقيقةِ الإيمانِ - شُبْهَةً لهم في التمسُّكِ بما هم عليه، وعدمِ الْتفاتِهم إلى مَن يُنْكِرُهُ عليهم.

ولو أنَّ المُنْكِرَ عليهم شارَكَهم فيما عندَهم: مِن الأخلاقِ، والمحبَّةِ، وأعمالِ القلوبِ ومراعاتِها، والفقهِ في مُنازَلاتِها وواردِاتِها- لانقادوا له، ولو رَأَوه فوقَهم في ذلك لأقَرُّوا له مُذعِنِينَ، ولكن نفوسهم لا تَنْقادُ لِـمَن هو على ضدِّ طريقتِهم، ومَن هو مِن أَقْسَى النَّاسِ وأَبْعَدِهم عن المحبَّةِ وأحكامِها، وعن أعمالِ القلوبِ، وأذواقِ حلاوةِ المُعاملةِ. وإذا تَلَاقَتْ أرواحُهُم تَنَافَرَتْ أَشَدَّ التنافرِ!

فالبلاءُ مُرَكَّبٌ: مِن تفريطِ هؤلاء، وعُدوانِ هؤلاء، وصارتْ كلُّ طائفةٍ مُعْرِضَةً عمَّا مع الأخرى مِن الحقِّ، مُسْتَطِيْلَةً عليها بما معها مِن الباطلِ.

وأمَّا أهلُ الصراطِ المستقيمِ الوسطِ العدلِ الخيارِ فيتبرَّؤون مِن باطلِ الطائفتَينِ، ويُقِرُّونَ بحقِّ الفريقَينِ، ويَنْقادُونَ لِـمَا مع كلٍّ منهما مِن الحقِّ، ويُنْكِرُونَ ما معهما مِن الباطلِ: فمَن قال مِن الفريقَينِ: حَيَّ على الهُدَى والفلاحِ؛ أجاب نداءَهُ ولبَّى دعوتَهُ، ومَن قال: حيَّ على البدعةِ واتِّباعِ ما لم يُنَزِّلِ اللهُ به سلطانًا؛ أَعْرَضَ عنه، وجاهَدَهُ بحسبِ استطاعتِهِ.

ثُمَّ إنَّ الكلامَ في هذه المسألةِ في فصولٍ:

ففصل في بيانِ حُكمِها في الشريعةِ: وهل هو التحريمُ أو الكراهةُ أو الإباحةُ، أو ما يقولُهُ المُفترونَ الكاذِبونَ من الاستحبابِ والفضيلةِ؟!

وفصل في أَنَّ تعاطيَها على وجهِ اللعبِ واللهوِ والمُجُونِ والخَلاعَةِ أهون مِن تعاطيها على ما يقولُهُ الكاذِبونَ المُفترونَ مِن أنَّها قربةٌ وطاعةٌ وطريقٌ تُقرِّبُهم إلى الله تعالى، وتُوصِلُهُم إليه، وتَجمَعُ قلوبَهُم عليه!

وفصل في أنَّ هذا السماعَ على هذا الوجهِ قبيحٌ حرامٌ، لا يبيحُهُ أحدٌ مِن المسلمِينَ، ولا يَستَحسِنُهُ إلَّا مَن خَلَعَ جِلْبَابَ الحياءِ والدِّينِ عن وجهِهِ، وجَاهَرَ اللهَ ورسولَه ودينَه وعبادَه بالقبيحِ.

وفصل في عقدِ مَجْلِسٍ يتضمَّنُ مُناظرةً بينَ صاحبِ غِناءٍ وصاحبِ قرآنٍ، أَدْلَى كلُّ واحدٍ منهما بحجَّتِهِ، ورَضِيَا بتحكيمِ مَن آثَرَ عقلَهُ ودينَهُ على هَواهُ، وكان الحقُّ الذي بَعَثَ اللهُ به رسولَهُ أحبَّ إليه ممَّا سِواه.

وفصل في التنبيهِ على فتحِ سماعِ القرآنِ، وما يُثِيرُهُ مِن كنوزِ العِلْمِ والإيمانِ، والاستغناءِ به عن فتحِ سماعِ الشعرِ وما يُثِيرُهُ مِن النِّفاقِ والشَّهواتِ، والموازنةِ بينَ هذا الذوقِ في القرآنِ الذي سنذكرُ منه دونَ سَمِّ الخِيَاطِ بالنسبةِ إلى ما وراءَهُ، وبينَ ذوقِ السماعِ الشعريِّ.

فإنْ احتجَجْتُم بالرجالِ كاثرناكم بالواحدِ ألوفًا مؤلَّفةً.

وإنْ استدلَلْتُم بالقرآنِ فهذا كتابُ الله المجيدِ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وإنْ استنَدْتُم إلى الإسنادِ والحديثِ فسَنَذْكُرُ لكم منه ما يَشفِي صدرَ كلِّ محقٍّ.

وإنْ لجَأْتُم إلى الذوقِ والوَجْدِ حاكمناكم إليه، وبيَّنَّا أنَّا أسعدُ به منكم، وأنَّ الذوقَ السليمَ والوَجْدَ الصحيحَ يحكم بأنَّ في سماعكم منفعةً للنَّفسِ ومضرَّةً للقلبِ، ومضرتُهُ أكثرُ مِن نفعِهِ كما سنبيِّنُهُ بالدليلِ الواضحِ الذي لا مدفعَ له إن شاء الله تعالى.

بين يدي القارئ

الحمد لله الذي وفَّق وهَدَى، والصلاة والسلام على نبيِّهِ المصطفى، وآله وصحبه ومَن اقتَفَى، وبعدُ: فتلك تقدمة بين يدي هذا السفر الجليل، أنير بها درب قارئه وأوقفه على بعض شيء عن هذه الطبعة، وهذا الكتاب، وهؤلاء المؤلفين.

أما عن هذه الطبعة فأقول:

الطبعات السابقة(١):

الطبعة الأولى:

وهو بسبقٍ حائز تفضيلًا، فتصدَّى لها: أ/ راشد بن عبد العزيز الحمد، طبعَتْها دارُ العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٩هـ، بعنوان: «الكلام على مسألة السماع»، وقد اعتمد على نسخته اليتيمة (نسخة الإسكوريال)، وبحقٍّ جاءت دون المأمول؛ ولقد قرأتها كاملة مقابِلًا إياها على أصله الذي منه انتسخ (نسخة الإسكوريال)، فظهر لي عوارُها من جهاتٍ:

١- قراءات خاطئة للنص، وما أكثرها!

٢- سقط في النص وزيادات.

٣- أخطاء إملائية وتصحيفات وتحريفات.

٤- خلل في منهج التحقيق.

٥- نقص في توثيق النصوص وعزوها.

---

(١) ذكرتُ طبعتين، ودونها أخرى، نشرتها دار الجيل بمصر سنة ١٤١٢هـ، بعنوان: «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء»؛ وهي طبعة محرفة لم تعتمد على أصل خطي، وإنما اعتمدت على طبعة دار العاصمة، وعلى كتاب مطبوع باسم «الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن» (ط. دار الصحابة بطنطا) منسوب إلى ابن القيم وهو منه بريء، وإنما استله أحدهم من كتابنا هذا وغير فيه وبدل.

وإنصافًا له أعرض عليكم ما جاء مما زعمتُه في أول سبع صفحات من طبعته فحسب، مع ما لها من مكانة الصدر وتوفر نشاط المحقق وهمته، فكيف الأمر بما دون الصدر!

ص	سطر	قوله	صوابه
٨٧	١-٢	بسم الله الرحمن الرحيم صورة استفتاء	بسم الله الرحمن الرحيم ربِّ يسِّر وأعِنْ يا كريم صورة استفتاء
٨٩	١٣	كإخراج الأذن والدم	كإخراج اللّاذن والدم
٩٢	١	بسم الله الرحمن الرحيم	(زيادة)
٩٣	٥	وباع أنفاسه الدنيا بتلك العلى	وباع أنفاسه الدنيا بتلك الأنفاس العلى
٩٣	٧	منادى	منادي
٩٤	٥	أسأم	أسام
٩٤	٨	ينادي	يُنادَى
٩٤	١١	إلا ما وافق إرادته أو وافق هواه	إلا ما وافق إرادته أو خالف هواه
٩٤	١٣	قد ارتوى من مشربهم وتطلع	قد ارتوى من مشربهم وتضلع
٩٥	١	كيف وأحدهم وإذا قيل له	كيف وأحدهم إذا قيل له

هذا ما جاء من ذاك في تلكم الصفحات(٨٧-٩٤) وحسب! ولا تخلو صفحة من هنة تتبعها آهة قارئ مرزوء!

فإن أعجب أعجب مِن صنيع له خَالَفَ به الخاصةَ والعامةَ من أهل هذا الفن، تحريفه لقول ابن القيم: «قال النبي ﷺ: لا يجعل أحدكم للشيطان حظا من صلاته». فحذف لفظ (النبي ﷺ) ووضع مكانه لفظ (عبد الله)، ثم قال في الحاشية: «في الأصل قال النبي ﷺ، والصواب ما أثبته، وهذا اللفظ موقوف على ابن مسعود»(١).

ليت شعري! لو اتبعه الخلقُ في هذا الصنيع لضاعت السنة صحيحها قبل ضعيفها مرفوعها قبل موقوفها! فكل من ثبت عنده خلاف ما في كلام الآخر يبدله ويغيره.

قُلْ ما تشاء في حاشيتك ودع النصَّ لصاحبه، لا تبدل ولا تغير ولا تحرف، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الطبعة الثانية:

حققها أ/ محمد عزير شمس، ضمن سلسلة آثار ابن القيم، طبعها مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ودار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ، بعنوان: «الكلام على مسألة السماع»، واعتمد على نسخة الإسكوريال كذلك.

وقد قرأت هذه الطبعة كاملة مطابقًا متنها على أصلها؛ فاتضح لي علوها في الضبط على الطبعة الأولى (دار العاصمة)، بيد أن محققها قد أُتِيَ مِن قوله: «وفي الأصل المخطوط أخطاء وتحريفات أشرت إلى بعضها في أماكنها، **وأغفلت كثيرا منها لأنها من الناسخ**، وقد تجوَّز كثيرا في الشكل وأخطأ في الضبط، ووضع النقط والحركات في غير مواضعها، وكتب الشعر نثرا...»(٢).

---

(١) انظر طبعته (ص٣١٢).
(٢) انظر مقدمة طبعته (ص٤٤).

فاستُبيح عرينُ النصِّ بهزالِ الناسخِ، وحُكِّمت الملكةُ العلمية والثقافية للمحقق على النصِّ، فما تَراه خطأً فهو من تحريف الناسخ يُصَوَّبُ ولا يُشار إليه، وما تَراه صوابًا فكان على الناسخ أن يأتي به فيُصَوَّبُ أيضًا ولا يُشار إليه، وبين خطأ الناسخ وملكة المحقق يضيع النصُّ!

وفيما يلي بيان بما وقع في هذه الطبعة مقسمًا ومرتبا ومضروبا لكل نوع منه خمسة أمثلة تمثيلًا واستشهادًا، وإلا فهي من الكثرة بمكان، بل لقد تركت من الأنواع مخافة الإطالة.

١ - أخطاء في قراءة النص رغم وضوحها في الأصل

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
٢٢٤	١٣	يحضرون	يحضرونه
٢٣٣	٢	المواجيد	المواخير
٢٤٩	٦	الصور	الصورة
٢٨٤	١٣	شراء	شري
٣١٠	٤	ناداهم	نادى بهم

٢ - أخطاء في قراءة النص لالتباس رسمها

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
٢٦	٩	بمعصية	بمعصيته
٩٢	١١	بسبب	بحسب
١٠٥	١	ملوية	مساوية
١٣٢	٤	وهو نظير	وهم نظير
٣١٢	١٦	حجة	حجته

٣- تصرفه في حروف المعاني وأدوات الربط حذفا وإضافة وتحريفا دون وجه حق

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
١٤٣	٣	ليس هذا	وليس هذا
١٥٠	٢	بعد أن	بعد ما
١٦٦	٣	واختلف الناس	اختلف الناس
١٧٨	٣	فقال: إنما يفعله	قال: إنما يفعله
١٧٨	١١	وقد ذكر	قد ذكر

٤- التساهل في قراءة النص، والاهتمام بما يؤدي المعنى بغض النظر عن رسم الكلمة وصحته

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
١٨	٥	براء	برآء
٥٢	٧	وحضره	وحضروه
٦٦	٣	تهافت	تهافتت
٦٧	١١	نطقت	لنطقت
١٦٣	٩	بسماع الشيطان	بالسماع الشيطاني

٥- سقط في النص

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
٣٠	١٥	قال يحيى	قال ثنا يحيى
٤٧	١٣	ثم قال	ثم قال لي
٧٠	١٧	وخدودهن	وورد خدودهن
٧١	٥	دقة الأنف	دقة ذلك الأنف
١٦٩	٤	يصدق إيمانهم ويكذبها	يصدق إيمانهم ومحبتهم ويكذبها

٦- زيادة في النص دون تنبيه أحيانا، ووضعها بين معقوفين دون بيان مصدرها أحيانا أخرى

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
١٣٩	٩	ولكم فيها ما تشتهي الأنفس	فيها ما تشتهي الأنفس
١٩٦	٧	وصوت [عند] مصيبة	وصوت مصيبة
٢٨٣	٥	بعد التقدمة منه شيئا	بعد التقدمة شيئا
٢٨٤	٤	لم يكن [كسبه] حراما	لم يكن حراما
٢٩٢	١٢	لا يصل إليه [أحد]	لا يصل إليه

٧- الانسياق خلف خطأ الناسخ

الصفحة	السطر	قوله	الصواب
٧٣	١٦	البهجة	المبهجة
١٣٢	٣	المتعوضين عنه بسماع الغناء	(تكرار)
١٧٤	١٣	ولرأوه	ولو رأوه
١٩٩	٥	وأحمس	وأحسن
٢٢٧	٣	أمر المسلمين	أمراء المسلمين

٨- تحسين تصحيف الناسخ بتسوية السياق له

الصفحة	السطر	خطأ الناسخ	تسوية المحقق	الصواب
١٧٣	١٨	يرتاحون لذلك في الشعر	يرتاحون لذلك الشعر	يرتاحون كذلك في الشعر
١٧٤	١٣	ولرأوه... لأقروا	ولرأوه... ولأقروا	ولو رأوه... لأقروا
٢٣٣	٩	ولذلك استلذاذها	ولذلك استلذوها	وكذلك استلذاذها
٢٨٥	٩	فإن البخاري في صحيحه واحتج	فإن البخاري في صحيحه احتج	فإن البخاري أدخله في صحيحه واحتج
٣٠٣	١٦	واجب هذا غير واجب	واجب هذا غير واجبه	واجب هذا غير واجب هذا

الحاجة إلى إعادة تحقيقه؟

على الرغم مما سردتُ بعضه في طبعتَيْ هذا الكتاب إلا أن همة إعادة تحقيقه لم تكن قد توفرت بعد؛ فلا تزال نسخُهُ مفقودة، إلا نسخة يتيمة أقامت الطبعات السابقة بنيانها عليها، وبهذه النسخة خروق في السياق مهما حاولنا رتقها يبقى النص مرقَّعًا لا يحمل توقيعَ صاحبه، بل إن هناك فجوة لا يعلم مداها إلا الله في هذه النسخة بين الورقة ١٢٣- ١٢٤، وقد تنبه لها محقق طبعة المجمع.

فيشاء الله عز وجل - بمنّه وكرمه وجوده وإحسانه - أن يوقفنا على نسخة أخرى مكتشفة حديثًا لهذا الكتاب، خبأها بين دفتيه مجموع يحوي من العلوم فنونًا، فإذا بها نسخة متقنة منسوخة سنة ١٠٣٢هـ من أصل قُرِئَ على المؤلف وقوبل مع نسخته ومؤرخ بسنة ٧٤٧ هـ، في حين أن الكتاب قد صُنِّفَ سنة ٧٤٠هـ كما جاء في صدر الاستفتاء.

ليس هذا فحسب، وإنما جاءت تلك النسخة بذلك السقط بين ورقتي نسخة الإسكوريال ١٢٣- ١٢٤، وكان حجم هذا السقط ليس بقليل؛ إذ بلغ خمس عشرة ورقة[١]، فتكون بذلك هي أول نسخة كاملة للكتاب، وإن شئت فقل وأول نسخة نُسخت من أصل قُرِئَ على المؤلف وقوبل مع نسخته.

بل وتكون تلك الخمس عشرة ورقة من أنفس ما كتب ابن القيم في هذا الكتاب إن لم يكن في نظائره، حيث يعرض شواهد لفتح سماع القرآن وذوقه وما يثيره من كنوز العلم والإيمان!

---

(١) تجدهم في طبعتنا من (ص٣٤٠) إلى (ص٣٩٣).

بلْه إكمالها ما تصحف أو تحرف من نسخة الإسكوريال وهو من الكثرة بمكان، بل وذكرها جملًا وعبارات وكلمات وحروفًا كانت ساقطة من الإسكوريال وكان محققوها يرمون بالغيب - ولهم عذرهم - في تقويم النص بإزائها، وكذا نسبتها بعض الأشعار لابن القيم بعد أن كنا نعد صاحبها مجهولًا... في فوائد ونكت ولطائف يأتيك خبرها عما قليل.

طبعتنا:

❶ النسخ الخطية:

أولا: نسخة الإسكوريال:

عدد الأوراق: ١٤٢ورقة، وبها سقط كبير بين الورقتين: ١٢٣- ١٢٤، يقدر من ١٠-١٥ ورقة تقريبا.

المقاس: ٢١×٣٠ سم تقريبا.

المسطرة: ١٩-٢١ سطرا تقريبا.

الخط: نسخ.

مكان الحفظ: مكتبة الإسكوريال، مدريد، إسبانيا، رقم الحفظ (١٥٩٣). ومنه مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية. وكذلك في مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.

رمزها في هامش طبعتنا : (س).

نصا صفحة الظهرية:

وهما عنوان الكتاب وقيد التملك، وكلاهما بخط ناسخ المتن نفسه وإن اختلفت قطة قلمه لاسيما في العنوان.

١ - قيد التملك في أعلى اليسار:

«الحمد لله رب العالمين،

ملكه

فقير عفو ربه الغني علي بن محمد

القادري الغزي ثم الدمشقي

الشافعي عفا الله عنه، آمين»

٢ - عنوان الكتاب في أعلى الوسط

«الكلام على مسألة السماع

من جواب جماعة من الأئمة مختصرًا، وجواب الشيخ العلامة المحقق

شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية الحنبلي مطولا، تغمدهم الله برحمته»

حرد المتن:

وقد جاء غفلا عن اسم الناسخ وتاريخ نسخه أو أي بيانات أخرى، وإذا قدر لي أن أحرزه فسأقول إن ناسخه هو صحاب التملك هو هو، علي بن محمد القادري الغزي ثم الدمشقي الشافعي، والله أعلم.

نص الحرد:

«آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

المقابلة:

قُوبلت هذه النسخة مِن غير ناسخها على أصل مجهول لنا، أمَّا كونها قوبلت فيدلك على ذلك قيد المقابلة في آخر النسخة: «بلغ»، فضلا عن الاستدراكات على الحاشية لما سقط من الناسخ بغير خطه، وأمَّا كونها من غير ناسخها فيدلك عليه اختلاف الخط والقلم بين المتن وبين جلِّ الاستدراكات للسقط في الحاشية، اللهم إلا بعضا منها من وضع الناسخ نفسه وإلحاقه، كما في استدراكه للسقط: «فقال ابن نجيد» (٢٦/ ب)، يدلك على هذا خطه ومطابقته للمتن.

كذلك لم تنحصر الاستدراكات في الحاشية من خلال مقابلة النسخة على إثبات السقط فقط، وإنما صوبت بعضا من الأخطاء، كما في ورقة (٩/ أ): «على الطريق»، فضرب على حرف الجر في المتن وكتب في الحاشية: «عن». وهو صوابها كما جاءت في النسخة الأخرى، كذلك في الورقة (١٢٧/ أ)، جاء في المتن: «هاشم بن عمار». فضرب على الأولى وكتب في الحاشية «هشام».

ومن الأدلة الطريفة على كون خط المقابلة والحاشية دون خط المتن وقلمه وعلى كونها استدراكات من المقابل وليست إلحاقات من الناسخ، ما جاء في الورقة (١١٩/ أ)، حيث ضرب الناسخ على جملة كتبها في مكانها خطأ، فظن المقابل أن المتن به سقط، فشرع يكتب في السقط في الحاشية حتى يلتقي بالناسخ، فإذا به يقف على الضرب وأن ما كتبه واقع بعد جملة الضرب، فكتب فوق حاشيته مكرر، ولو كان هو هو ما حدث هذا.

ملاحظات:

١- النسخة بها تعقيبة في معظم الصفحات.

٢- معظمها مشكل بالحركات.

٣- النسخة بخط ناسخ واحد؛ اللهم إلا حواشي المقابلة.

٤- بها عنوانات هامشية للأجوبة الثمانية فقط، وبخط ناسخ المتن نفسه، وبقطة قلم قريبة من العنوان على الظهرية.

نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامة:

عدد الأوراق: ٣٩- ١٥١ (ضمن مجموع).

المقاس: ٢٠.٥×١٥سم تقريبا.

المسطرة: ١٩-٢١ سطرا تقريبا.

الخط: نسخ.

اسم الناسخ: أحمد بن بايزيد.

تاريخ النسخ: سنة ١٠٣٢، شهر شعبان ٢٢.

مكان الحفظ: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، السعودية.

رمزها في هامش طبعتنا: (ع).

حرد المتن:

«كملت المسألة المباركة نفع الله بها مالكها وكاتبها وقارئها ومصنفها وجميع المسلمين. وافق الفراغ من نسخها على يد العبد الفقير المذنب المعترف الراجي رحمة ربه القدير محمد بن عيسى بن عبد الله عفا الله تعالى عنه، وذلك في نهار الأحد رابع عشر عن(١) شهر الله المحرم من سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

كتبت هذه النسخة المباركة من النسخة التي قرئت على المصنف وقوبلت مع نسخته حسب الإمكان، وأنا الحقير الفقير المذنب المعترف بالذنب والتقصير، وأرجو الإنابة والرجوع بعناية الله تعالى وهدايته إلى ربه العزيز القدير أحمد بن بايزيد الحافظ لتربته المبنية الشريفة المحيطة على مرقد الشريف المنيف المبني على جسم أبي أيوب الأنصاري عليه رحمة الباري، والمأمول من إخوان الدين والخلان ألّا ينسوني من خير الدعوات المستجابة حين نالوا بهذه النسخة الشريفة وقراؤها(٢) بالإذعان والقبول حق القبول والإذعان.

تمت بعناية من بيده البداية والنهاية والرد والقبول، رحم الله تعالى لي ولوالدي ولإخواني وأولادي وأقربائي ولجميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

سنة ١٠٣٢، شهر شعبان ٢٢».

ملاحظات:

١ – بحاشيته فوائد وتعليقات.

٢ – المداد أسود، وخطوط التنبيه بالحمرة.

(١) كذا بالأصل، ولعلها صوابها: «من».
(٢) كذا بالأصل ولعل صوابها: «وقرؤوها».

٣- الشِّعْر مميز بنقطة حمراء في بدء كل شطر ونهايته.

٤- بعض الورقات بها تعقيبة.

٥- عُنْوِنَ الكتابُ كاملا بحاشيته: «مطلب كذا وكذا». مصبغةً كلمة «مطلب» بالحمرة، وتحتها عنوان المطلب، مائلا إلى أسفل.

❷ قراءة النص:

قرأنا النص على النسختين: نسخة الإسكوريال (س)، ونسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامة (ع)، ثم قرأنا النص على الطبعة الأولى للكتاب (دار العاصمة)، فالطبعة الثانية (طبعة المجمع).

وحتى لا نقع فيما وقع فيه من سبقنا أرسينا منهجًا وسطا في مقابلة النص وإثبات أوجه قراءته، قوامه رومنا الوصول إلى لفظ المؤلف لا صحة السياق والمعنى فحسب، فاحترمنا الحركة قبل الحرف، والحرف قبل الكلمة، والكلمة قبل الجملة، مقدمين التأويل ما أمكنت له اللغة والجادة على التخطئة واتهام الناسخ، فإن رأينا ما حقه التصويب نصصنا على ما كان في الأصل، فربما ما أراه أنا خطأ تراه أنت صوابا، أو لربما ترى له مخرجا أليق مما رأيتُ.

ولقد رجحنا بين فروق النسخ باعتبارات لا يسع المقام حصرها، فمنها: السياق، والرسم، وما سبق ذكره وما تلاه، وأسلوب المصنف، وما ذكره المصنف في كتبه الأخرى، ومقارنة لفظه بمصادره. ثم لم نفتت على القارئ، فوضعنا له المرجوح في الحاشية، لعله يراه أقرب، أو يرى فيه فائدة.

ومما يحسن ذكره من معالم هذا المنهج:

١- إهمال إثبات الفروق التالية بين النسختين - إلا لفائدة -:

أ- الواو والفاء، والواو و«أو»، و«قد»، مع تقديم الأليق بالسياق.

ب- التقديم والتأخير اليسير جدا، مع تقديم الأليق، مثل: ذلك لها، لها ذلك.

ج- ما كان خطأ صريحا لا وجه له ألبتة وجاء صوابه في النسخة الأخرى، فإن اتفقت النسختان على الخطأ وتيقن لدي ذلك كتبتُ صوابه في المتن وأشرتُ إلى الخطأ في الهامش، وهي مواضع قليلة جدا.

د- الظاهر والمضمر، مثل: طاعته (الضمير عائد إلى الرسول) وطاعة رسوله، وقال تعالى وقال الله تعالى، مع تقديم الأليق.

هـ- خطأهما في الآيات القرآنية وإن اجتمعتا، مع التأكد من عدم احتماله لقراءة أخرى.

و- اختلاف اختصارات صيغة التحديث الواحدة، مثل: ثنا وحدثنا، فان اختلفت الصيغة نبهتُ، مثل ثنا وأخبرنا.

ز- مسألة التذكير والتأنيث في مثل: يمشي وتمشي، وغلب وغلبت، وذلك وتلك، وقد اختلفت فيهما النسختان اختلافا شديدا، فرجحت بينهما وفق قواعد اللغة، فإن اتفقتا على ما أرى خطأه وضعتُ الصوابَ في المتن ونبهتُ في الهامش على ما اتفقتا عليه.

٢- ربطت قراءة كل كلمة بمثيلاتها السابقات واللاحقات، فكثيرا ما تجدني أقول سبقت من قبل بلفظ كذا وكذا، أو وردت كذا مرة بلفظ كذا.

٣- بالنسبة لألفاظ الثناء على الله كسبحانه وتعالى، والصلاة على النبي، والترضية على الصحابة، والترحم على السلف، اختلفت النسختان فيهن كعادة النسخ الخطية، فحتى لا يكون الأمر اعتباطا اخترتُ إحداهما وسرتُ عليها، وهي النسخة (ع). فإن خرجتُ عنها لفائدة نبهتُ.

٤- النسخة (ع) أتت في بعض المواضع برموز دالة على ألفاظ مخصوصة، مثل: «تع» أي: تعالى، «ء م» أي: عليه السلام، «رح» أو «رحمه» أي: رحمه الله، «المص» أي: المصنف، «رض» أي: رضي الله عنه أو عنهم، فاستبدلتها بمقصودها دون تنبيه في موضعه.

٩- كثيرا ما نذكر لك سبب ترجيحنا لما في نسخة على الأخرى، كقولنا: في (ع): «العلماء» والمثبت من (س) كما في «الرد على من يحب السماع».

١٠- فيما يخص فروق النسخ الواردة في النصوص حديثًا وآثارًا وشعرًا ونثرًا وأقوالًا، بحثنا ورود هذه الفروق في كل الروايات الواردة في النص، فإن وجدنا قلنا لك: وبها رواية فلان وفلان، وإلا قلنا: ولا رواية بها.

❸ توثيق النصوص وتراجم الأعلام

١- عزونا الآيات القرآنية، ونسبنا قراءاتها المختلفة لقُرَّائها ورواتهم.

٢- وخرجنا الأحاديث النبوية، ملتزمين منهجا وعرا كؤودًا، فلا يمر حديث حتى نذكر لك صحيحه من ضعيفه، ومنجبره من معلوله، مستظهرين لك طرقه ورواته، مرجحين بين جهابذته ونقاده.

٣- وكذلك آثار الصحابة، اجتهدنا أن نخرجها من أقدم المصادر وأوثقها.

٤- ووثقنا كل قول ونص ذُكر تصريحا أو تعريضا.

٥- أما الشعر فأحيينا به صنعة كادت تندرس، فرجعناه إلى أصوله ودواوينه، وحققنا القول في شاعره ورواته.

فإن لم يسعنا التوثيق قلنا: لم نقف عليه.

٦- وترجمنا لما تتشوف إليه النفس من الأعلام.

❹ ضبط النص

١- قسمنا النص إلى فقرات، والفقرات إلى جمل، وخرزنا هذه الجمل بعلامات ترقيم تُضفي عليك من بهاء النص وجماله ما تقر به عينك.

٢- كثيرا ما يغمض النص ويزوغ ركنا الجملة؛ لبلاغة ابن القيم وجريه على سنن العرب في الفصاحة، فنوقفك على المراد ونوجه لك الإعراب ونمسِّكك بالمعنى.

٣- ذكرنا كلام أهل اللغة حول بعض المفردات في إيجاز.

٤- ضبطنا النصَّ دون إفراط، إلا ما أشكل فضبطنا ما يزيل إشكاله.

٥- ضبطنا الأحاديث النبوية ضبطا كاملا.

٦- ضبطنا الأبيات الشعرية ورددنا كل بيت إلى بحره.

❺ تنسيق النص

١- قسمنا الصفحة إلى متن في الأعلى، وأسفله حاشية لفروق النسخ وأوجه القراءة وشرح المفردات وتوجيه المعنى مرتبة على الأبجدية، وعلى جانبيه هامش مذكور فيه باللون الأسود: عزو الآيات، ودرجة الحديث، وشاعر البيت وبحره، وترقيم النسخ الخطية، وتنبيهات لا غنى عنها. وباللون الأحمر عنوانات للفقرات تضيء لك النص.

فجمعنا لك على هامش الصفحة وبحاشيتها من كل فائدة خلاصتها، ومن كل إطناب إيجازه.

٢- أخلينا من واجهة الصفحة كل ما يعرقل مسيرة القارئ نحو النص؛ فجعلنا كل ما سوى فروق النسخ وشرح المفردات في ختام الكتاب - مع وضعنا بالهامش خلاصة ما لا غنى عنه من هذه التعليقات - واكتفينا بوضع رقمها في الصفحة، ليرجع إليها من شاء، ثم وضعنا بجانب هذا الرقم حروفا تستدل بها على محتوى هذا التعليق، توفيرا للجهد والوقت:

- فإذا كان رقم التعليق الختامي بجانبه حرف التاء هكذا: (ت٤٥)، فيعني أنه يحتوي على ترجمة للعلم الوارد.

- وإذا كان بجانبه حرف العين هكذا: (ع٤٦)، فيعني أنه تعليق من المحقق، كذكر مصدر يفصل في المسألة، أو توضيح مشكل، أو استدراك، أو فائدة ونحوه.

- واذا كان بجانبه حرف القاف هكذا: (ق٤٧)، فيعني أنه إحالة على صفحة سابقة وُثق فيها النص.

- وإذا كان بجانبه حرف الميم هكذا: (م٤٨)، فيعني أنه رد إلى المصدر الذي استقى منه المصنف ولم يصرح به.

- وإذا كان غفلا من حرف هكذا: (٤٩)، فهو توثيق للنص.

وما تنسيقنا هذا إلا علامات وإشارات، إن أنت اهتديتَ بها فتح لك النصُّ مصراعيه وأتاك منه ما أراده لك مؤلفه ومحققه.

٣- رقمنا النص على النسختين الخطيتين، ووضعنا الترقيم في بدء ورقة النسخة الخطية؛ ليتوافق ترقيمنا مع ترقيم الطبعة الثانية (ط. المجمع).

❻ الكشافات والفهارس

١- فهرس لأسماء الكتب وبياناتها التي وثقنا منها النصوص.

٢- كشاف بالآيات القرآنية وأماكن ورودها.

٣-كشاف بالأحاديث النبوية الشريفة.

٤- كشاف بالآثار والأخبار.

٥- كشاف بالأشعار والأراجيز.

٦- كشاف بأعلام الأشخاص.

٧- كشاف بالكتب الواردة أسماؤها.

٨- جدول المحتويات.

أما عن هذا الكتاب فأقول:

❶ نسبته(١):

ولها شقان: الأول: ثبوت أن لابن القيم كتابا في هذه المسألة بغض النظر عن محتواه، وهذا سيأتي تحقيقُهُ في مبحث عنوان الكتاب وذِكْر مَن نَسَبَ مثلَه له. والثاني: ثبوت أن ما وقفنا عليه – أي: كتابنا هذا – هو نفسه الذي نُسِبَ له، وهذا نتحققه بما يلي:

أولا: نسبته إليه في النسختين الخطيتين.

(١) هذا المبحث خاص بفتوى ابن القيم التي تمثل جل الكتاب.

ثانيا: قوله في هذا الكتاب: «وهذا موضعٌ يَسْتَدْعِي كتابًا كبيرًا، ولولا الخروجُ عمَّا نحن بصددِهِ لأَوضَحناهُ وبَسَطْنا القولَ فيه، فمَن أَرادَ الوقوفَ عليه فقد ذَكَرْناهُ في كتابِ (مراحلِ السائرين بينَ منازلِ إياك نعبد وإياك نستعين)، وفي كتابِ (الرِّسالة المصريَّة)».

أما الكتاب الأول فلابن القيم بلا خلاف، بيد أنه اختُلف في اسمه، يقول بكر أبو زيد: « **لم أر تسمية المؤلف له في شيء من كتبه**، وقد اختلفت كلمة النقلة في بيان اسم هذا الكتاب على النحو الآتي: فذكره ابن رجب والداودي وابن العماد باسم (مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)... وذكره حاجي خليفة والبغدادي باسم (مدارج السالكين في شرح منازل السائرين)»[١].

قلت: قُضي الأمر بعد أن سمَّى ابنُ القيم نفسُهُ كتابَهُ في نصنا هذا، وحُسم الخلاف ولله الحمد.

أما الكتاب الثاني فلم يوقف عليه إلى الآن، ولعل الزمان يجود به يوما، وأغلب الظن أن ابن القيم كتبه حين قدم مصر، وقد قدمها عدة مرات كما يقول المقريزي[٢]، ولعل مادة هذا الكتاب تتعلق بقوله في هداية الحيارى: «وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة»[٣]. والله أعلم.

---

(١) ابن القيم آثاره وحياته وموارده (ص ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) السلوك لمعرفة دول االملوك (٤/ ١٣٢).

(٣) (١/ ٨٧)

ثالثا: مقارنة أسلوب مؤلف هذا الكتاب بما عهد من أسلوب ابن القيم في كتبه الأخرى، وربما لكون هذه الدراسة تراعي الاقتضاب والإيجاز قدر الإمكان لن نطيل في هذه المسألة، وإنما سنعرض أربعة أمثلة فحسب لما يُعرف باللوازم الأسلوبية، تلك اللاتي لا يبرحن صاحبهن، وهن:

١- قوله في كتابنا وفي أكثر من موضع: «شيخ الإسلام قدس الله روحه»[(١)]. وهي لازمة أسلوبية معهودة بشدة في كتب ابن القيم.

٢- وكذلك قوله هنا كثيرا: «وتأمل»[(٢)]. تكررت مئات المرات في كتبه.

٣- وقوله: «وبالجملة»[(٣)]. لا يكاد يخلو منها فصل أو مسألة له.

٤- ومنهن: قوله: «فلله كم من كذا وكذا، وكم من كذا»[(٤)]، وقارن بينه وبينه قوله في إعلام الموقعين: «فلله كم من سنة صحيحة صريحة قد عطلت به؟ وكم من أثر درس حكمه بسببه»[(٥)]. وقوله في زاد المعاد: «فلله كم لها من قتيل وسليب وجريح، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح»[(٦)]. وقوله في مدارج السالكين: «فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟ ! وكم من...» [(٧)]. وغيرهن كثر.

---

(١) انظر مثلا ص: ١٣٤، ٢٤٩، ٢٧٥.
(٢) انظر مثلا ص: ٣٨، ٤٢، ١٥٩.
(٣) انظر مثلا ص: ٤٨، ١٧٥، ٢٣١.
(٤) انظر مثلا ص: ٤٧، ٢٦٥، ٣٧٧.
(٥) (١/ ١٨٧).
(٦) (١/ ٥٢).
(٧) (١/ ٣٥٥)

رابعا: مقارنة نصوص هذا الكتاب بمظانها من كتب ابن القيم؛ للوقوف على مدى التطابق أو التشابه بينهما، وأيضا سنعرض لأربعة أمثلة إيجازا:

١- قوله في كتابنا هذا: «إنَّما تَنحَلُّ هذه الشبهةُ بذكرِ قاعدةٍ نافعةٍ، وهي أَنْ يُنظَرَ إلى ما في هذا السماعِ مِن المصلحةِ والمفسدةِ»[(١)]. وقوله في مدارج السالكين: «والذي يفصل النزاع في حكم هذه المسألة ثلاث قواعد ... القاعدة الثالثة: إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم؟ فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته، فإن كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة، فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته»[(٢)].

٢- وقوله هنا: «قال صاحب الغناء: استِلْذاذُ القلوبِ بالأصواتِ الطيِّبةِ واستِرْواحُها إليها ممَّا لا يُمْكِنُ جحودُهُ: فإنَّ الطفلَ يَسْكُنُ إلى الصوتِ الطيِّبِ، والجِمال تُقاسِي تَعَبَ السَّيرِ ومَشَقَّةَ الحمولةِ فيُهَوَّنُ عليها بالحُداءِ»[(٣)]. وقوله في مدارج السالكين: «ومن أعجب العجائب استدلال من استدل على أن هذا السماع من طريق القوم، وأنه مباح بكونه مستلذا طبعا، تستلذه النفوس، وتستروح إليه، وأن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء»[(٤)].

بل إن سائر الشبه التي عرضها على لسان صاحب الغناء هنا إنما ساقها في مدارج السالكين إجمالا[(٥)] وكذلك رده عليها[(٦)].

(١) (ص ٩١).
(٢) (١/ ٤٩١)
(٣) (ص٢٨٩).
(٤) (١/ ٤٨٤).
(٥) انظر: (١/ ٤٨٤: ٤٨٨).
(٦) انظر: (١/ ٤٨٨: ٤٩٧).

٣- وقوله هنا: «قلتُ: ولي مِن قصيدةٍ.

يَـا مُرْسِـلًا لِسَـهَامِ اللَّحْـظِ مُجْتَهِـدًا ** أَنْتَ الْقَتِيـلُ بِـمَا تَرْمِـي فَـلَا تُصِـبِ
أَرْسَلْتَ طَرْفَـكَ تَرْتَـادُ الشِّـفَاءَ فَـمَا ** وَافَى رَسُـولُكَ إِلَّا رَائِـدَ العَطَـبِ[(١)]

أوردهما في «الجواب الكافي»[(٢)] و«بدائع الفوائد»[(٣)]، ونسبهما لنفسه أيضا، وأوردهما السفاريني في «غذاء الألباب»[(٤)] ونسبهما له كذلك.

٤- وقوله هنا: «**وهو مذهبُ سائرِ الكوفيينَ**: سفيانَ الثوريِّ، وحمَّادٍ، والشَّعْبَيِّ، لا خلافَ بينَهم في ذلك. **وكذلك أهلُ البصرةِ** لا يُخَالِفُونَ فيه ويَكْرَهُونَهُ»[(٥)]. وقوله في إغاثة اللهفان: «وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان، وحماد، وإبراهيم، والشعبى، وغيرهم، لا اختلاف بينهم في ذلك، ولا نعلم خلافًا أيضًا بين أهل البصرة في المنع منه»[(٦)].

ثم قال في إغاثة اللهفان ختاما لفصله: «فمن أحب الوقوف على ذلك فهو مستوفى في ذلك الكتاب»[(٧)]. قلت: وهو كتابنا هذا. والحمد لله رب العالمين.

❷ تأليفه:

استفتاء عن السماع المحرم، يسبقه توطئة بذكر سنته ومراده، يتلوه جواب ثمانية من أعلام دمشق وقضاة مذاهبها، في كل مذهب علمان: في الحنفية: أحمد بن الحسن الرازي،

---

(١) (ص ٢٧٩).
(٢) (ص ١٥٤).
(٣) (٢/ ٨١٨).
(٤) (١/ ٨٦).
(٥) (ص ١٥).
(٦) (١/ ٢٢٧).
(٧) (١/ ٢٦٨).

وابن عبد الحق. وفي المالكية: أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي، وأخوه عبد الله. وفي الشافعية: تقي الدين السبكي، وعماد الدين ابن كثير. وفي الحنابلة: ابن قاضي الجبل، وابن قيم الجوزية. هذا هو كتابنا.

فلئن غفل الجميع عنه أو أنساهم الأعلامُ الثمانية وفتواهم ذكرَه، فمثلي لا ينساه، إنه مَن قسم قسمة العدل بين المذاهب الأربعة، وصاغ الاستفتاء وأرَّخه، وكاتب العلماءَ واستنطق من أقلامهم فتواهم، ثم رتبها ونَظَمَها في سفر واحد، ثم تراه ينص عقب كل فتوى أو في صدرها أن ما في كتابه ليس خطَّهم، وإنما صورة خطِّهم، لله دره!

أتراه ورَّاقًا يبتغي رواجًا لسلعته، أم عالما يستنقذ الناس من وحل فتنتهم، أم تراها البلوى قد عمت دمشق وقراها، فانبرى أعلام المذاهب وقضاتها لدرء تلك الفتنة.

في نسخة مكتبة الملك عبد العزيز كان ناسخها أمينا فذكر حردين للمتن:

١- حرد النسخة التي انتسخها، لناسخها محمد بن عبد الله بن عيسى، سنة ٧٤٧هـ.

٢- ثم حرد نسخته، وهو أحمد بن بايزيد، سنة ١٠٣٢هـ، كذلك وَصَّفَ النسخةَ التي انتسخ منها والتي ذكر حردها أولا، فذكر أنها قُرئت على المصنف وقُوبلت مع نسخته.

ولكن أي مؤلف؟ إنهم ثمانية مؤلفين!

ربما يقول قائل إنه يقصد ذلكم الرجل الذي حدثتكم عنه آنفا وغفل عنه الجميع، إنه من جمع وضم وألَّف ونقل فتواهم من خطهم إلى سفرنا هذا، وربما يقول آخر إن المقصود هو ابن القيم صاحب آخر فتوى وأكبرهن.

إن الحقيقة ستظهر عندما يزاح الغبار يوما عن تلك النسخة التي كانت بين يدي ناسخنا أحمد بن بايزيد سنة ١٠٣٢هـ وانتسخ منها نسخته، تلك النسخة التي قرئت على

مصنفها وقوبلت مع نسخته والمؤرخة بسنة ٧٤٧هـ (أي: بعد تاريخ الفتوى بسبع سنوات فقط)، وكأني بها قابعة تحت اسم مؤلَّف آخر ربما في إحدى مكتبات إستانبول بلد ناسخنا أحمد بن بايزيد تئن إلى مفهرس يخلصها، أو ربما سافرت تبحث عن مشتر يعتقها.

❸ عنوانه:

١ - الكلام على مسألة السماع.

كذا جاء على ظهرية نسخة الإسكوريال.

٢ - كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء.

ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات[١]، وعنه الزركلي في الأعلام[٢].

٣- حرمة السماع.

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون[٣]، وعنه إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين[٤].
العارفين[٤].

أما الاسم الأول الذي جاء على نسخة الإسكوريال فأغلب الظن أنه من قبيل الوصف، وأن الكتاب الذي بين أيدينا لم يُوضع له اسمٌ بادئ ذي بدء؛ إذ إنه فتوى وإن كثرت أوراقها، لاسيما وهذا الاسم ليس ذا سمة مميزة، وإنما عادة ما تطلق هذه الصيغة (الكلام على كذا) على الكتب المجهولة أو غير ذات الاسم؛ ولذا خلت نسخة مكتبة الملك عبد العزيز من اسم، ولكن طالما جاء اسم على نسخة خطية ولم يأت ما يعارضه أو ما هو

(١) (١٩٦/٢).
(٢) (٥٦/٥).
(٣) (٦٥٠/١).
(٤) (١٧٨/٣).

أوثق منه فهو المقدم سواء أكان اسما أو وصفا.

أما الاسم الثاني فهو لكتاب مختلف عن كتابنا، كتاب مؤلفه ابن القيم فحسب وحوى كلام ابن القيم في هذه المسألة دون غيره من العلماء، أما كتابنا «الكلام على مسألة السماع» فمؤلفه ثمانية من العلماء وابن القيم وجوابه أحدهم.

فكتابنا أعم من كتاب ابن القيم (كشف الغطاء)؛ إذ إنه يشمله ويشمل أجوبة سبعة من العلماء آخرين.

وكذلك الاسم الثالث فهو وصف لكتاب ابن القيم (كشف الغطاء) ليس إلَّا، بل وإن لم يكن من قبيل الوصف فلا يرقى بحال لما ذكره الصفدي، فالصفدي دمشقي عاصر ابن القيم ولقيه وسمع منه، وهذا أعلى سند لإثبات اسم كتاب.

ويجلي لك الأمر أن الظن يغلب أن ابن القيم بعد أن كتب فتواه إجابةً على الاستفتاء، وبعد أن كتب العلماء السبعة فتاويهم وإجاباتهم على الاستفتاء نفسه، وصار الكتاب متداولًا بين الناس، يجمع فتاوى العلماء الثمانية، أقول: بعد ذلك رأى ابن القيم أن فتواه تصلح لأن تكون مصنفًا مفردًا، فأفردها باسم هو «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء».

ولهذا أَعتبر كل عنوانات الطبعات السابقة لكتابنا هذا من قبيل التحريف:

فإن صاحبي الطبعة الأولى (دار العاصمة) والثانية (طبعة المجمع) حذفا إجابات العلماء السبعة وأبقوا على إجابة ابن القيم فقط، ثم سمَّوه: «الكلام على مسألة السماع»، وفيه من الفساد شيء ليس بقليل؛ لأن جواب ابن القيم فقط اسمه «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء» كما ذكره الصفدي معاصر ابن القيم، والاسم الذي وضعوه على الغلاف لمؤلَّف يشمل جواب ثمانية ابن القيم أحدهم!

ولا يعتذر لصاحب الطبعة الأولى ذكره الأجوبة السبعة في ملحق في ختام طبعته، كما لا يشفع لصاحب الطبعة الثانية قوله: «وقد اقتصرنا في هذه الطبعة على نشر كتاب ابن القيم دون الكتابات الأخرى؛ لأنها منشورة مرارا، ثم إن هذه السلسلة تهتم بنشر تراث ابن القيم، فلم نحب أن نجمع بينه وبين آثار غيره»(١).

لذا وضعنا على غلاف طبعتنا: «الكلام على مسألة السماع، تأليف ابن القيم وآخرين». ولو شئت أن أفرد جواب ابن القيم فقط بمصنف لأسميته: «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء». هذا هو القسطاس المستقيم!

❹ **موضوعه** (مسألة السماع)

السماع لغة(٢): إما أن يكون مصدرًا للفعل سَمِعَ، فيكون بمعنى حس الأذن، أو يكون اسمًا لما تسمعه الأذن. والثاني أقرب إلى مسألتنا.

واصطلاحًا(٣): الإصغاء إلى ذكر مخصوص على هيئة مخصوصة.

فإن كان إصغاء إلى مشروع على هيئة مشروعة كان مباحا، بل وربما كان مندوبا إليه كاستماع القرآن الكريم وتلاوته والأنس بمعانيه وتدبره.

وإن كان إصغاء إلى محرم على هيئة محرمة فهو البدعي الذي انبرى له مؤلفونا الثمانية للرد عليه وإظهار حرمته ونكارته للشرع والعقل.

وصورته كما جاء في صدر الاستفتاء: «السماع الذي يَشْتَمِلُ على الدُّفِّ والشَّبَّابَةِ وآلاتِ اللهوِ والطَّرَبِ، والتصفيقِ بالكفِّ ونحوه... ويَحْضُرُهُ الرِّجالُ والنِّساءُ... فيَنْظُرُونَ

---

(١) طبعته (المقدمة ص٤٥).

(٢) انظر المحكم لابن سيده (١/ ٥١١)، لسان العرب (٨/ ١٦٢).

(٣) ظلت أقلب ما ذكره أهل الفن في تعاريفه وماهيته فلم أرتض أحدهن؛ فاجتهدت هذا التعريف، والله الموفق.

إليهنَّ وهم يَرقُصُونَ على صوتِ الشبَّاباتِ والدُّفوفِ والغِناءِ، **ويَزْعُمُونَ** أَنَّ ذلك قُرْبَةٌ تُقَرِّبُهُم إلى الله تعالى، ويَزِيدُ في أذواقِهِم ومواجيدِهِم الإيمانيَّةِ عندَهم»[(١)]!

❺ **أهميته:**

على الرغم من أن جَمْعَ الكتابِ لفتاوى أعلام المذاهب الأربعة في عصرهم حول السماع البدعي يمثل أهمية معتبرة ومعلما بارزا يُحسب له، إلا أن كل الصيد في جوف جواب ابن القيم، ربما لاقتضاب جوابهم عن جوابه، فقد أخرجوها على حقها - وهي الفتوى - موجزة محكمة يطير بها الخبر، أما ابن القيم فربما بدأها فتوى موجزة فتفلتت منه مصنفا مسهبا.

ولقد سبق ابنَ القيم كثرٌ في التصنيف والرد على هذا السماع الصوفي البدعي، كالطبري في رسالته «الرد على من يحب السماع»، والطرطوشي في «تحريم الغناء والسماع»، وغيرهما، ولكن ما يميز عمل ابن القيم عن غيره أنه سَلَكَ في الرد عليهم مسلكَهم في الذوق والوجد وأعمال القلوب، فنازعهم فيهن، بل وادَّعى أنه أسعد بهن منهم، وأن سماعه القرآني أوفر حظًّا وأصح فيهن من سماعهم.

يقول رحمه الله: «ولو أنَّ المُنْكِرَ عليهم شارَكَهم فيما عندَهم: مِن الأخلاقِ، والمحبَّةِ، وأعمالِ القلوبِ ومراعاتِها، والفقهِ في مُنازَلاتِها ووارِداتِها- لانقادوا له، ولو رَأَوه فوقَهم في ذلك لأقرُّوا له مُذعنِينَ»[(٢)].

---

(١) طبعتنا (٤).

(٢) طبعتنا (ص٢١٩).

❻ **فصوله**:

يبدأ كتابنا باستفتاء عن السماع المشتمل على اللهو والمعازف، ذاكرا شبههم وأحواله، طالبا من أهل الذكر إيضاح الحق وإزهاق الباطل.

فانبرى له ثمانية من أعلام المذاهب وقضاتها:

فيستفتح الجواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي، فيجمل حكمه بتحريمه في صدر فتواه، ثم يعقبه بتفصيل بعض من أحواله.

يتلوه جلال الدين ابن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي، فيصدق على كلامه ويشهد على فتواه.

ثم قاضي القضاة ابن عبد الحق الحنفي، فيبين حرمته وبدعيته، ذاكرًا أدلته من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال السلف.

ورابعهم وخامسهم إماما محراب المالكية في عصرهم أبو عمرو وعبدالله ابنا أبي الوليد المالكي، فيشهدان على قولهم بمثل المكتوب أعلاه.

فابن قاضي الجبل الحنبلي، فبعد أن يذكر تظاهر الأدلة على ذمه والنهي عنه يردفه بما تضمنه من وجوه منهي عنها شرعا، خاتما كلامه بقول موفق الدين الحنبلي وابن الصلاح الشافعي.

سابعهم عماد الدين بن كثير الشافعي، فيبين حرمة استعمال آلات الطرب والاستماع إليها بأدلته، ثم السماع وحرمته، وإنكار الأئمة له، ويختم بالسماع القرآني.

ثم يأخذ الرايةَ ابنُ القيم فيسيل الكلام من بين يديه أودية وأنهارا، فيبدأ ببيان من ينتفع بكلامه ومن يقام به الحجة عليه، ثم فصلٌ يرسم به كلامه ودندنته إلى فصلين: فصل في بيان حكمها في الشريعة، وفصل في تعاطيها على وجه القربة.

فيذكِّر بطاعة الرسول ﷺ مستدلا بآيات من الذكر الحكيم، ومحذرا من مغبة مخالفته مستشهدا بالكتاب والسنة.

ثم يعود فيقسم كلامه إلى مجمل ومفصل: أما المجمل فقبح السماع ومفاسده ودواهيه، وأما المفصل فاستعراض أربع من شبههم وأقوالهم، يتخلله فصول نافعة في إنكار مشايخ الطريق له، وذكر مفاسده، وماهيته، وانحراف الأذواق.

يعقب ذلك فصل ماتع في ذوق الصلاة وعبوديتها: من الوضوء إلى التشهد وجلسته.

ثم يعقد مناظرة مطولة بين صاحب غناء وصاحب قرآن، مستعرضا ما بدأه مِن ذكر شبههم وأقوالهم والرد عليها، في تسع وعشرين شبهة، في ثناياهن فصول ونكت وفوائد عز مثلها على غيره، بلْه ذكره فصلا من أنفس فصوله عن فتح سماع القرآن وأمثلة منه.

شبهة:

يقول محقق (ط. المجمع): «وقد جعل المؤلف الكتاب في قسمين: الأول في الجواب عن الاستفتاء في مسألة السماع، فصَّل فيه الكلام حول الموضوع، **ثم شعر بوجه من القصور فيه**، حيث إنه لم يستقص شبه المبيحين واحتجاجاتهم والرد عليهم، فألحق به القسم الثاني»[(١)].

وهو رجم بالغيب من مكان بعيد! وإنما هذا التقسيم من تصرُّف ناسخ نسخة الإسكوريال، لهذا لم يأت هذا التقسيم ولا ديباجته في نسخة مكتبة الملك عبد العزيز.

بل إنني أزعم أننا وإن لم نقف على نسخة مكتبة الملك عبد العزيز وصوابها، أقول وإن لم نقف على ذلك فمعلوم لدينا أن هذا من تصرف الناسخ، بل ومعلوم علته وسببه، فإنه لما

(١) مقدمة طبعته (ص٢٤).

أدخل فصلا لابن تيمية يناسب فصل ابن القيم عن ذوق الصلاة وسط متن الكتاب؛ قَسَمَ الكتاب قسمين: قسم قبل فصل ابن تيمية، وقسم بعده، فزاد ديباجتين من عنده: في نهاية القسم الأول، وأخرى في صدر القسم الثاني؛ ليحسن فعلته، لا مدعيا أنهما هكذا في الأصل، ولا ظانًّا أن أحدًا سيعتقد كونه قسمين.

❼ مصادره(١):

وقد تنوعت مصادره تنوعًا مثريًا، فبعد كتاب الله وسنة نبيه وآثار صحابته لم يكتف بكتب الرافضين للسماع البدعي وأحواله كالشافعي وأحمد والخلال والطبري وابن الجوزي وابن تيمية وغيرهم، وإنما أنصف خصمه غاية الإنصاف، فأخرج لكبار الصوفية مستشهدا بنصوصهم مستسقيا من كتبهم، كأبي طالب المكي وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي القاسم القشيري وأبي إسماعيل الهروي وابن طاهر المقدسي وغيرهم.

وإن نظرة متأملة على فهرسنا لأسماء الكتب وبياناتها التي وثقنا منها النصوص، وكشافِ أسماء الكتب الواردة في النص، بل وكشاف أعلام الأشخاص، وكشاف الآثار والنصوص، بلْه كشاف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية- لتشهد بحق على هذا التنوع.

غير أنه أتأر النظر إلى كتب بعينها أكثر عليها الورود نهلًا وعللًا، فمن ذلك:

١- الرد على من يحب السماع، للقاضي الطبري.

٢- فصل تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد، من كتاب تلبيس إبليس، لابن الجوزي.

٣- الجامع (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، للخلال.

(١) هذا المبحث خاص بفتوى ابن القيم التي تمثل جل الكتاب.

٤- نصوص لأبي موسى المديني (ت٥٨١)، لم أقف عليها في المطبوع من كتبه.

٥- الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري.

٦- الاستقامة، لابن تيمية.

ومما يحسن التنبيه عليه أن المناظرة التي أقامها المصنف بين صاحب القرآن وصاحب الغناء والسماع، هي في حقيقتها مناظرة بين ابن تيمية في كتابه الاستقامة، وأبي القاسم القشيري في رسالته القشيرية.

فيأتي بالشبهة من كلام القشيري تحت قوله: «قال صاحب الغناء»، ثم يتبعها برد ابن تيمية عليها موسوم بقوله: «قال صاحب القرآن».

وعلى الرغم من سبك المصنف لكلام شيخه ابن تيمية في هذه المناظرة وصياغته أحسن سبك وصياغة، وما أجمل أن تقرأ كلام ابن تيمية بعيني تلميذه ابن القيم وقلمه! إلا أن له أيضا فيها من نتائج الأفكار وأبكارها وعذارى المعاني في خدورها، خير شاهد على أنه لم يقل رجيعا من القول مكرورًا، وإنما شرح الغامض وأزال اللبس، وضرب الأمثلة وأقام الشواهد، وقص الحواشي ورتق الخروق، وقيد الأوابد وأطرد الخصم حتى أنهكه؛ حتى صار الأمر بين كلامه وكلام شيخه ليس إلا رضيعا لبان أم تقاسما.

وقُلْ مثل ذلك في كل كتاب أكثر النقل منه بنصه أو معناه، فلا يدعه حتى يصبغه بصبغته وينزل عليه من روحه ما يجعله إليه أقرب وبه ألصق.

وعلى الرغم من عدم تصريحه بمصدره في كثير من النصوص لاسيما كتب شيخه ابن تيمية، إلا أنه لم يطمس لفظ ما أخذه - لله دره ما أشد أمانته! - وإنما أقام أعلاما من

اللفظ وإشارات بها يَستدل مَن له معرفة بالأمر على أصله ومصدره، ولو شاء لفعل مثلما يفعل عتاة عصرنا من إلباس المعنى حلة جديدة حيلة واحتيالا.

وقد اجتهدنا - والله الموفق - في رد كثير من النصوص التي لم يصرح بنسبتها إلى مصدرها وأصلها.

أما عن هؤلاء المؤلفين فأقول:

❶ قاضي القضاة تقي الدين السبكي

«علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، تقي الدين، أبو الحسن الشافعي، ولد بـ«سبك العبيد» من أعمال المنوفية بمصر، أول يوم من صفر سنة ٦٨٣هـ، وتفقه على والده، وطلب الحديث بنفسه، ورحل فيه إلى الشام والإسكندرية والحجاز، وولي بالقاهرة تدريس المنصورية وجامع الحاكم والكهارية وغيرها، وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ، وكان طلب إلى القاهرة بالبريد ليقرر في قضائها، فتوجه إليها، وأقام قليلا ولم يتم الأمر، وأعيد على وظائفه بدمشق.

وكان متقشفا في أموره متقللا في الملابس، حتى كانت ثيابه في غير الموكب تقوم بدون الثلاثين درهمًا، وكان لا يستكثر على أحد شيئًا، حتى إنه لما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم دَيْنًا، فالتزم ولداه بوفائها، وقد جمع ولده فتاويه ورتبها في أربع مجلدات، كما أفرد مسائله التي انفرد بتصحيحها أو باختيارها في كتابه التوشيح.

وقد كان نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض، فلما استقر تاج الدين وباشر توجه الشيخ تقي الدين إلى القاهرة، وأقام بها قليلا في دار على شط النيل وهو موعوك، إلى أن مات في ثالث جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ.

قال الإسنوي في الطبقات: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة وأجلهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة، مواظبا على وظائف العبادات، مراعيا لأرباب الفنون محافظًا على ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم»[1].

❷ جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي

«أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان، الرازي الأصل، ثم الرومي، الحنفي، أبو المفاخر ابن أبي الفضائل جلال الدين ابن قاضي القضاة حسام الدين ابن تاج الدين، ولد سنة إحدى أو اثنتين وخمسين وستمائة بأنكورية من الروم، وقرأ القرآن واشتغل في النحو والتفسير والفقه، ولي القضاء وهو صغير ابن سبع عشرة سنة بخرت برت، ودرس بدمشق، وقدم مصر سنة ٧٣٠ هـ، ولي قضاء الشام وناب عن والده قبل ذلك، ودرس بالخاتونية والقصاعين، وكانت له عناية بجامع الأصول ألقاه دروسا ويحفظ منه كثيرا.

وكان قد انحنى من الكبر، وإذا مرض يقول: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أني أعمر. فكان كذلك، فإنه أكمل التسعين وزاد، وكانت وفاته في تاسع عشر رجب سنة ٧٤٥ هـ وقد أضر.

قال الشهاب ابن فضل الله: إنه كان كثير المروءة حسن المعاشرة سخي النفس، أقام فوق السبعين سنة يدرس بدمشق وغالب رؤساء مذهبه من الحكام والمدرسين كانوا طلبة عنده»[2].

---

(١) الدرر الكامنة (٤/ ٧٤-٨٤) باختصار. وانظر أيضا: أعيان العصر (٢/ ١٨٦)، طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٣٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥).

(٢) الدرر الكامنة (١/ ١٣٥-١٣٦) باختصار. وانظر أيضا: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٦٣)، المنهل الصافي (١/ ٢٦٤).

❸ قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي

«إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد، الحنفي، برهان الدين بن كمال الدين، المشهور بابن عبد الحق، وكان أبوه قاضي الحصن، وكان هو سبط ضياء الدين عبد الحق بن خلف الحنبلي الواسطي فاشتهر بالنسبة إليه.

قرأ على أبيه وتفقه على الظهير الرومي، وأخذ العربية عن المجد التونسي، والأصول عن الصفي الهندي، وسمع من جده والفخر ابن البخاري وابن القواس وغيرهم، وحدث وتفقه وبرع ودرس وأعاد، ومهر في معرفة الهداية، وولي القضاء بمصر بعد الحريري عشر سنين، ثم تحول إلى دمشق سنة ثمان وثلاثين، ودرس بالعذراوية والخاتونية، انتهت إليه رياسة المذهب، ومات بدمشق في ذي الحجة ٧٤٤ هـ وله ست وسبعون سنة.

[قال] البدر النابلسي: كان من أكابر العلماء، يحفظ الفروع وكثيرا من المتون، ويجانب أهل البدع، طلبه الناصر لما مات الحريري على البريد، فولاه قضاء الحنفية، وعزله بعد ذلك، فرجع إلى دمشق إلى أن مات»(١).

❹ أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي

«أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج، الإشبيلي، أبو عمرو المالكي، ولد سنة ٦٧٢ بغرناطة، وقدم دمشق، وسمع من الفخر والفاروثي وغيرهما، وكان إمام محراب المالكية متصديا للفتوى، وسمع منه البرزالي والذهبي.

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٥١-٥٢) باختصار. وانظر أيضا: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٤٢)، المنهل الصافي (١/ ١٢٧).

قال البرزالي في الشيوخ المتوسطين: كان أحد المفتين في مذهبه، وهو فاضل كثير المطالعة، ملازم الفتوى.

قال ابن كثير: مات في شهر رمضان سنة ٧٤٥ هـ، وتأسف الناس على صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة رحمه الله تعالى»[(١)].

❺ عبد الله بن أبي الوليد المالكي (أخو أبي عمرو المتقدم)

عبد الله بن محمد بن أحمد ابن الحاج، المالكي، فخر الدين، أبو محمد ابن أبي الوليد، إمام محراب المالكية بدمشق وابن إمامهم، ولد سنة ٦٧٥ هـ، وقدم مع أبيه في سنة ٨٤، وسمع من الفخر علي والتاج الفزاري والجمال ابن الشريشي وغيرهم.

قال البرزالي: رجل فاضل، مضبوط الأمر، مصون، نزه العرض، من خيار الفقهاء، اشتغل وحفظ، وله عبادة وورد في الليل وانقطاع.

وقال ابن كثير: كان رجلا صالحا، مجمعا على جلالته ودينه، ومات في ثامن عشر صفر سنة ٧٤٣ هـ، وكان أصغر من أخيه بثلاث سنين»[(٢)].

❻ شرف الدين أحمد بن الحسن الحنبلي

«أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر، المقدسي، الحنبلي، شرف الدين ابن شرف الدين ابن قاضي الجبل، ولد في شعبان سنة ٦٩٣هـ، وأسمع من إسماعيل بن عبد الرحمن الفراء ومحمد بن علي الواسطي في آخرين، وطلب بنفسه بعد العشر، فسمع من التقي سليمان ونحوه، وأجاز له ابن عساكر وابن القواس وغيرهما.

(١) الدرر الكامنة (١/ ٢٩٢-٢٩٣) باختصار. وانظر أيضا: توشيح الديباج (١/ ٥٤)، نيل الابتهاج (١/ ٩٧).
(٢) الدرر الكامنة (١/ ٦٧-٦٨) باختصار. وانظر أيضا: العبر في خبر من غبر (٤/ ١٢٩).

واشتغل بالعلم فبرع في الفنون، وكان بارعا في العلوم بعيد الصيت قديم الذكر، وله نظم وذهن سيال، وأفتى في شبيبته، يقال إن ابن تيمية أجازه بالإفتاء، ولي القضاء في سنة ٦٧ فلم يحمد في ولايته، وكان صاحب نوادر وخط حسن. وكانت وفاته في رجب سنة ٧٧١هـ، ومن تصانيفه القصد المفيد في حكم التوكيد ومسألة رفع اليدين»(١).

❼ عماد الدين بن كثير الشافعي

«إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء، القيسي، البصروي، الشيخ عماد الدين، ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير، ومات أبوه سنة ٧٠٣ هـ ونشأ هو بدمشق، وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وإسحاق الآمدي وابن عساكر والمزي وابن الرضي وطائفة، وأجاز له من مصر الدبوسي والواني والختني وغيرهم.

واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، فجمع التفسير وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وشرع في شرح البخاري، ولازم المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن لسببه.

وكان كثير الاستحضار حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثي الفقهاء، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح وله فيه فوائد، مات في شعبان سنة ٧٧٤ هـ وكان قد أضر في أواخر عمره»(٢).

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ١٣٨-١٣٩) باختصار. وانظر أيضا: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٨٠)، المقصد الأرشد (١/ ٩٣).

(٢) الدرر الكامنة (١/ ٤٤٥-٤٤٦) باختصار. وانظر أيضا: ذيل تذكرة الحفاظ (١/ ٣٨)، ذيل التقييد (١/ ٤٧١).

❽ ابن قيم الجوزية

«محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي الدمشقي، شمس الدين، ابن قيم الجوزية، الحنبلي، ولد سنة ٦٩١ هـ، وسمع على التقي سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم والمطعم وابن الشيرازى وإسماعيل بن مكتوم والطبقة، وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية، ودرس بالصدرية وأمَّ بالجوزية، وكان لأبيه في الفرائض يد فأخذها عنه وقرأ في الأصول على الصفي الهندي وابن تيمية.

وكان جريء الجنان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، فلما مات أفرج عنه وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية.

وقال ابن كثير: كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد ثم قال: لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جدا ويمد ركوعها وسجودها.

وله من التصانيف الهدي وإعلام الموقعين وبدائع الفوائد وطريق السعادتين وشرح منازل السائرين والقضاء والقدر وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ومصايد الشيطان ومفتاح دار السعادة والروح وحادي الأرواح ورفع اليدين والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة وتصانيف أخرى، وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف وهو طويل النفس فيها يتعانى الإيضاح جهده فيسهب جدا، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها.

ومات في ثالث عشر شهر رجب سنة ٧٥١ هـ، وكانت جنازته حافلة جدا، ورئيت له منامات حسنة، وكان هو ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام وأنه سأله عن منزلته فقال إنه أنزل منزلة فوق فلان وسمى بعض الأكابر قال له وأنت كدت تلحق به ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة»[١].

وكتب الفقير إلى ربه الغني، الراجي عفوه وغفرانه

عبد المنعم بن عبد الله بن عبد المنعم السيوطي

٢٠/١٢/١٤٣٦هـ

(١) الدرر الكامنة (٥/ ١٣٧-١٤٠) باختصار. وانظر أيضا: وانظر أيضا: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٧٠)، العبر في خبر من غبر (٤/ ١٥٥)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٥).

صور

النسخ الخطية

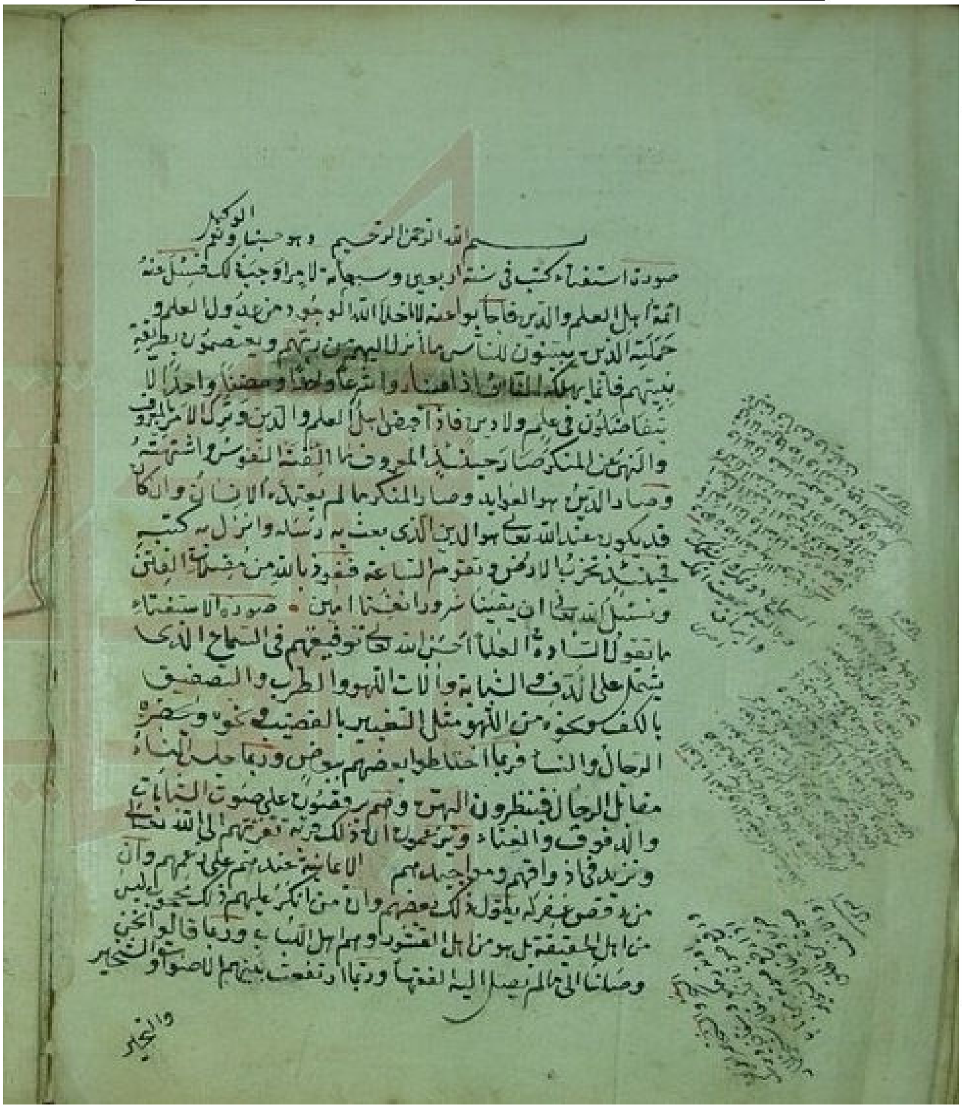
بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل
صورة استفتاء كتب في سنة اربعين وسبعمائة لامام اوحد لكي يسال عنه
ائمة اهل العلم والدين فاجابوا عنه لا اخلا الله الوجود منهم ولا العلم و
حملته الذين يبينون للناس ما انزل اليهم من ربهم ويحفظون طريقة
نبيهم فانما يهلك الناس اذا افسدوا واتبعوا اهواهم وبعضا واحدا لا
يتفاضلون في علم ولا دين فاذا اضمحل اهل العلم والدين وترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر صار حينئذ المعروف ما الفته النفوس واشتهته
وصار الدين هو العوايد وصار المنكر ما لم يعتده الانسان وان كان
قد يكون عند الله تعالى هو الدين الذي بعث به رسله وانزل به كتبه
فحينئذ تخرب الارض وتقوم الساعة فنعوذ بالله من مضلات الفتن
ونسال الله تعالى ان يقينا شرورها ويغنينا امين • صورة الاستفتاء
ما تقول السادة العلماء احسن الله تعالى توفيقهم في السماع الذي
يشتمل على الدف والشبابة والات اللهو والطرب والتصفيق
بالكف ونحوه من اللهو مثل التغبير بالقضيب ونحوه ويحضره
الرجال والنساء فربما اختلط بعضهم ببعض وربما جلس النساء
مقابل الرجال فينظرون اليهن وهم يرقصون على صوت الشبابة
والدفوف والغناء ويزعمون ان ذلك قربة تقربهم الى الله تعالى
وتزيد في ذواتهم ومواجيدهم الاعانة عندهم على عمهم وان
من قصد غير ذلك يقول له بعضهم وان من انكر عليهم ذلك محجوب ليس
من اهل الحقيقة بل هو من اهل القشور وهم اهل اللب وربما قال الواحد
وصلنا الى ما لم يصل اليه غيرنا وربما رقص بينهم الاصوات والنخير
والنخير

نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامة

اللوحة الأولى

(٣٩/ب)

هو من اجل مشايخ القوم الذين صحبوا الجنيد وطبقته يدل على ان حضور الرجل
للسماع لا يدل على مذهبه واعتقاده وهذا مما غلط فيه كثير منهم فان كثيرا
من المشايخ الذين نقل عنهم انما نقل عنهم حضوره وذلك لا يدل على ان
مذهبهم اباحته فضلا عن استحبابه فان احدهم قد يكون حضر معتقدا
اباحته وقد يحضره معتقدا كراهته وقد يعتقد تحريمه ويحضره فانه ليس معصوما
من المعصية وقد يتأول وقد يقلد من يراه جايزا وقد يعتقد التوبة
منه بعد حضوره وقد يأتي بحسنات ماحية لذنبه فمن اين لكم ان تجعل حضوره
السماع له يدل على مذهبه واعتقاده اباحته فضلا عن استحبابه فهذا
ابو علي الروذباري ممن كان يحضره وقد قال فيه هذه المقالة وتمنى
ان يكون لا له ولا عليه ولو كان عنده من جنس القربات والمستحبات لم
يقل ذلك فيه كما لا يقول قائم الليل وصائم النهار وتالي القرآن ليتني
تخلصت من ذلك راسا براس لكن تمنى الخلاص راسا براس لتقصيره
وتفريطه فيما امر به ونهي عنه ويرى ان هذه الطاعات لا تنجيه فيود انها
قابلت تفريطه وسيئاته وراح راسا براس كما قال عمر بن الخطاب وددت
اني نجوت من هذا الامر كفافا لا لي ولا علي يريد الخلافة خشية ان لا يكون
قد قام بحقوقها لخوفه كان يحمله على ذلك القول ولم يتجاوز ذلك الى ابي بكر
بل ما زال يشهد له بالقيام في الخلافة بالحق وبالجملة فحضور من حضر السماع
من القوم لا يدل على مذهبه وقد اختلف الفقهاء هل يؤخذ مذهب
الامام من فعله ولاصحاب احمد في ذلك وجهان والذين قالوا لا يؤخذ
من فعله مذهبه قالوا قد يفعله تقليدا او يكون متأولا او ناسيا
او مخطئا ومع هذه الاحتمالات لا يجوز ان يضاف اليه فعله مذهبا
والله اعلم كملت الرسالة المباركة نفع الله بها مالكها وكاتبها وقاريها
ومصنفها وجميع المسلمين ووافق الفراغ من نسخها على يد العبد الفقير الى الله

نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامة

اللوحة قبل الأخيرة

(١٥١/ب)

١٥١

الذنب المعترف الراجي رحمة ربه القدير محمد بن عيسى بن عبد الله عفا الله ١٥٢
تعالى عنه وقد كملت نهار الاحد رابع عشر من شهر الله المحرم من سنة اربع وسبعين
وسبعماية كتبت هذه النسخة المباركة من النسخة التي قرئت على
المصنف وقوبلت مع نسخته حسب الامكان وانا الفقير الحقير المذنب
المعترف بالذنب والتقصير وارجوا الانابة والرجوع بعناية الله تعالى
هداية الى ربه العزيز القدير احمد بن بايزيد الحافظ للتربة المنيفة الشريفة
المحيطة على مرقد الشريف المنيف المبني على جسم ابي ايوب الانصاري
عليه رحمة الباري والمامول من اخوان الدين والخلان ان لا ينسوني
من خير الدعوات المستجابة حين نالوا بهذه النسخة الشريفة وقراؤها
بالاذعان والقبول حق القبول والاذعان تمت بعناية من بيده
البداية والنهاية والرد والقبول رحم الله تعالى لي ولوالدي ولاخواني
واولادي واقربائي ولجميع امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

شهر شعبان ٢٢ ١٠٣٢

مكتبة الملك عبد العزيز العامة
الرياض
قسم المخطوطات

نسخة مكتبة الملك عبد العزيز العامة

اللوحة الأخيرة

(١٥٢/أ)

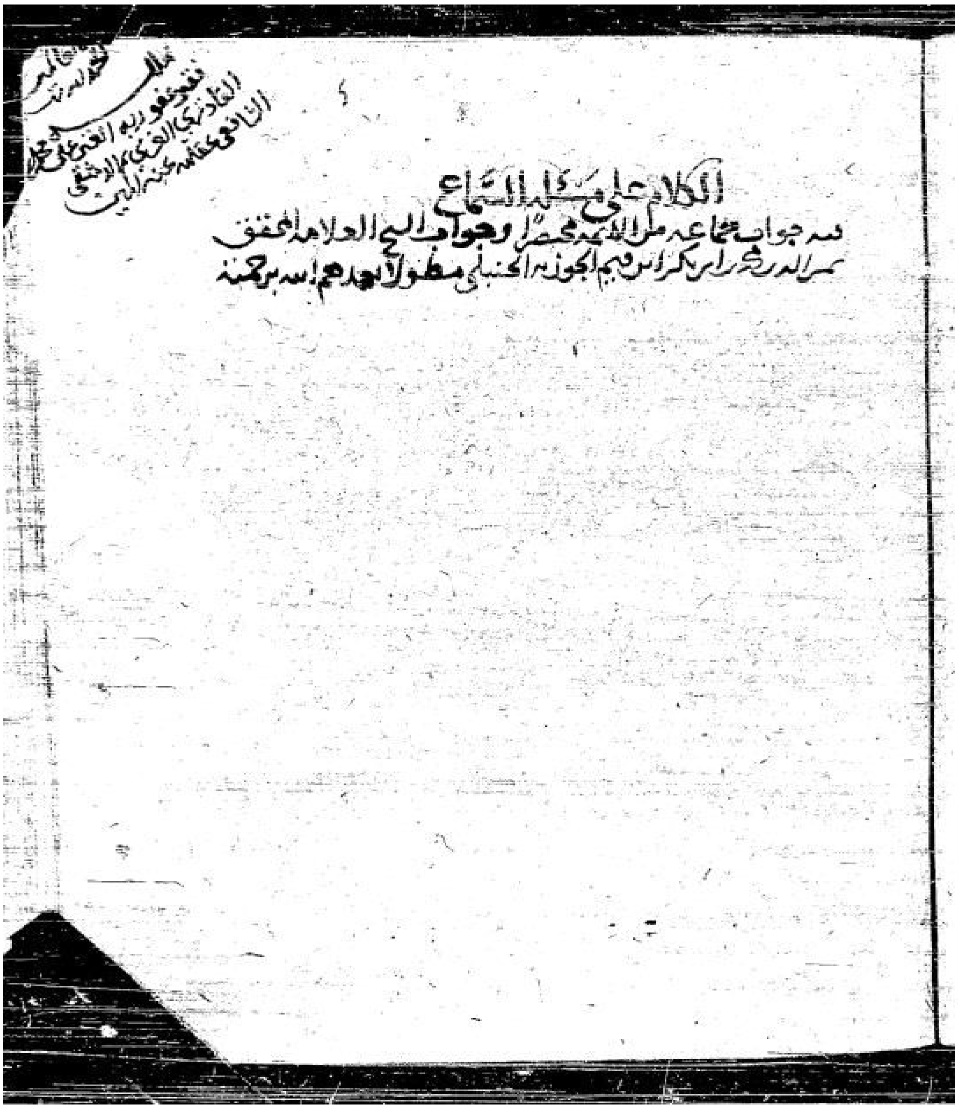
الكلام على مسألة السماع
فيه جواب جماعة من الأئمة مختصرًا وجواب الشيخ العلامة المحقق
شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الحنبلي مطولًا تغمدهم الله برحمته

نسخة مكتبة الإسكوريال

لوحة العنوان

(٥/أ)

بسم الله الرحمن الرحيم ... رب يسر وأعن كريم

صورة استفتاء كتب في سنة أربعين وسبعمائة لأمر أوجب ذلك وسئل به
أهل العلم والدين فأجابوا عنه لا أخلاهم الله الوجود من عدول العلم وحملته الذين يبينون
للناس ما أنزل إليهم من ربهم ويعتصمون بطريقة نبيهم فإنما يهلك الناس إذا اتخذوا رؤساء
جهالاً وصاروا أئمة ضالين في علم ولا دين فإذا قبض أهل العلم والدين
وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صار حينئذ المعروف ما ألفته
النفوس واشتهته وجارت به العوائد وصار المنكر ما لم يعتده الإنسان
وإن كان قد يكون عند الله هو الدين الذي بعث به رسله وأنزل
به كتبه فحينئذ تخرب الأرض وتقوم الساعة فنعوذ بالله من مضلات
الفتن ونسأل الله أن يعمنا بستره وأن يغنينا ... آمين

صورة الاستفتاء

ما تقول السادة العلماء أحسن الله توفيقهم في السماع الذي يشتمل
على الدف والشبابة والآلات اللهو والطرب أو التصفيق بالكف
ونحوه من اللهو مثل التغبير ونحوه وبحضور الرجال والنساء
وربما اختلطوا بعضهم ببعض وربما جلس النساء تقابل الرجال
ينظرون إليهم وهم يرقصون على صوت الشبابات والدفوف
والغناء ويزعمون أن ذلك قربة يتقربون بها إلى الله ويزيد في أذواقهم
ومواجيدهم الإيمانية وأن من رقص عمره يقول ذلك تعظيم
وأن من أنكر ذلك عليهم محجوب ليس من أهل الحقيقة بل هو
من أهل القشور وهم أهل اللباب وربما قالوا نحن وصلنا إلى
ما لم يصل إليه الفقهاء وربما ارتفعت بينهم الأصوات

والسحر

نسخة مكتبة الإسكوريال

اللوحة الأولى

(٥/ب)

أيقن تخلصت من ذلك رأساً برأس ولئن ينجي الخلاص
رأساً برأس لتقصيره وتفريطه فيما أمر به ونهي عنه
وبرؤيات هذه الطاعات لا تنجيه فيود أنها قابلت تفريطه
ونجا منه رأساً برأس كما قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وددت أني نجوت منه كفافاً لا لي ولا علي يريد
الخلافة خشية أن لا يكون قد قام بحقوقها فيرى أنه كان
عليه على ذلك القول ولم يقل ذلك أبو بكر بل ما زال يشهد
له في القيام في الخلافة بالحق وبالجاه مخصوص من حصر الشارع
من القوم لا يبدأ على مذهبه وقد اختلف الفقهاء هل يؤخذ
مذهب الإمام من فعله ولأصحاب أحمد في ذلك وجهان
والذين قالوا لا يؤخذ من فعله مذهبه قالوا
لعله فعله ناسياً أو يكون متأولاً أو ناسياً
أو مخطئاً ومع هذه الاحتمالات لا يجوز
أن ينسب إليه أنه مذهبه
والله أعلم
آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بلغ

نسخة مكتبة الإسكوريال

اللوحة الأخيرة

(١٤٢/ب)

يطبع كاملًا أول مرة على نسختين خطيتين

الكلام على مسألة السماع

تأليف

تقي الدين السبكي الشافعي (٧٥٦هـ)

جلال الدين بن حسام الدين الحنفي (٧٤٥هـ) عبد الله بن أبي الوليد المالكي (٧٤٣هـ)

برهان الدين بن عبد الحق الحنفي (٧٤٤هـ) أحمد بن الحسن الحنبلي (٧٧١هـ)

أبي عمرو بن أبي الوليد المالكي (٧٤٥هـ) عماد الدين بن كثير الشافعي (٧٧٤هـ)

ابن قيم الجوزية الحنبلي (٧٥١هـ)

تحقيق

عبد المنعم السيوطي

مدار الوطن للنشر